نوور عيني

المحاضرة العاشرة

الشخصية والمكونات البنائية

اولاً : الشخصية في مفهوم الأنا : المكونات البنائية

ان طرحنا الاستفهام حول كنه الذات العربية سوف نجد ان الجواب مختلفا لتعدد المصالح والاتجاهات والرؤى الحاضرة والمستقبلية .

فمفهوم العربي المقيم داخل وطنه –من عامة الناس- بانه المسلم الذي يتعرض لضغط واستغلال الاوروبيين الغير مسلمين وكل ذلك من اجل مصالح الغرب في منطقة العرب .

اما مفهوم العربي المهاجر والمستقر في اوروبا عن ذاته فهو الشخص الغير مرغوب فيه الذي يتعرض دوما لممارسات وضغوط عنصريه ،مهما كانت نجاحاته الشخصية والعامة.

اما صورة العربي في ذهن رجل الشارع الاوروبي والذي يتشكل لديه من خلال وسائل الاعلام ، هو الشخص المنتمي الى منطقة يستخرج منها النفط بكثره متبوع بثراء مادي شديد في ايدي غير محافظه عليه .

وهناك خاصية أساسية راسخة في بنية العقل العربي عبر العصور وهي الرؤية الذاتية للذات والتي تشكلت في عقل العربي البدوي التقليدي حيث مساحة العالم في ذهنه محدودة ولا تتعدى ديارة وعشيرته وهكذا فليس للآخر وجود عنده .

إلا أن الفتوحات الاسلامية قد أوجدت هذا الاخر ، فكان لابد من التعامل معه وفى ضوء الاخر كان الحكم والتأكيد والتمحور حول ثقافة الذات ،محاطاً بالمفاضلة الامر الذي جعل اوروبا وخصوصاً فرنسا تفكر جدياً في غزو الشرق وبدأ الاستعمار للشرق بالحملة الفرنسية على مصر عام 1798.

ورغم اعتراف أوروبا بتأثير العربي في الحضارة الغربية الا أنه ساد اتجاه نحو طمس هذه الحقيقة التاريخية أو التقليل من شأنها . بل وتأكيد الغرب على عجز العرب والمسلمين عن الابتكار والابداع والاسهام في ركب الحضارة الامر الذي يجعل من التغريب امراً ضرورياً لمواكبة تطورات العصر الحديث . ولعل من احد الاسباب الاخرى أن المسلمين والعرب ذاتهم او النخبة المثقفة منهم قد اقتنعوا بهذه الفكرة .

أن أهم ما يميز الذات العربية في كل عصر من العصور هو كفاحها المستمر لاستعادة هويتها بعد أن منيت بمزيد من التجزئة والتعقيد ومن هنا يكون الاهتمام في دراسة الذات منصباً على مسألة التنويع والتجانس في الهوية العربية .

وهناك عوامل التجزئة فيكون المتهم الاول فيها كل من الامبريالية ،والانتماءات الطائفية والاثنية، والقبلية والإقليمية.

وهكذا يكون الحديث عن الذات العربية ومكوناتها البنائية حديثاً ليس سهلاً في تاريخيتة ومجالية البشرى والاجتماعي.

وفي مجال العلوم أسست مصر القديمة علم وظائف الاعضاء ، وعلم التشريح ، وهي صاحبة نظرية الذرة وواضعه تذكرة الطب المشهورة باسم تذكرة (كرنيليوس كلسوس)فظلت الدنيا تستعمل عقاقير مصر القديمة حتى القرن 12. كما وضعت مصر المسيحية غالبية المصطلحات الطبية فتتلمذ عليها جالينوس وشهج لها نيولتسكى في كتابة الطب الشعبي المقارن .

فالإغريق تعلموا اللغة المصرية وعبدوا الالهة واتخذوا اسماء مصرية وعادات فجميع الصناعات تبدا بقدماء المصريين كالنسيج وغيرة

فان كانت العلاقة بيننا وبين أوربا قد تجذرت تاريخيا فان العلاقة باوربا وحوض البحر المتوسط ليست الا ترجمة عمل ، فهو قائم على جدال فقط ولكن التعامل مع اوربا يميل دائماً الى المحافظة اجتنابا للطفرة والدليل اسراع الازهر بتلمذة أبنائه ودارسيه على ايدي اساتذة أوروبيين.

ثانياً : الذات في مفهوم الاخر : رؤية تحليلية :

في هذا العصر الذي زالت فيه كثير من الحواجز بين شعوب العالم، وامتدت الفضاءات الرحبة أمامه لارتياد آفاق جديدة للتقدم الإنساني في المجالات كافة، وفي ظل شبح الإرهاب الذي ضرب مجتمعات عديدة، والذي فتح أبواباً للكراهية والريبة نال منها المسلمون النصيب الأكبر، لا بد من وقفة تأمّل ومراجعة لمفهوم الذات ومفهوم الآخر. لذلك فإن الجواب عن السؤال التقليدي: من نحن؟.. لا بد أن يقترن بجواب عن سؤال: مَن الآخر؟

ولذا لا يمكن تعريف الآخر بمعزل عن الأنا، وإن فُهِم الآخر، ومن ثم فإن التفاهم معه لا يتحقق من دون أن تتسع الأنا له، وبالتالي كلما سما الإنسان وترفع عن أنانيته، كلما أوجد له قاسم مشترك بينه وبين الآخر، مما يسمح لهذه الأنا بالتواصل على كافة الدرجات، وهي بذلك تكون ممهِّدة للحوار مع الآخر، الذي هو اكتشاف للأنا وإضاءة ساطعة في ذاته، ويعدّ مكانا أرحب للآخر، إن الحقيقة ليست في الأنا، إنها تتكامل مع الآخر حتى في نسبتها، ، وهي لا الثغرات، وعلى السلبيات التي لا تخلو منها شخصية إنسانية.

وللآخر حضور دائم عند الذات في جميع مراحل الحياة، ويؤكد علماء النفس والاجتماع ذلك، فإن حضور الآخر ليس شيئا عارضا، إلا أن الآخر في الوقت نفسه ليس شيئا ثابتًا باستمرار، بل تتغير خصائصه بتغير الظروف والواقع.

والآخر مفهوم كلي يتسع مدلوله لغويًّا لكل ما هو غير الذات، وغير الذات يشمل كل من له وجود باستثناء الذات المعنية، وعليه فإن الآخر بالنسبة للإسلام هو كل الكون بمن فيه، بدءًا من الإنسان الذي يُخالف الإسلام ومرورًا بسائر المخلوقات كالحيوان وسائر الأحياء والجمادات.

بيد أن معنى الاستعمال الشائع للفظ(الآخر) يميل إلى حصره في الآخر البشري لشخص معين، ويتيح مثل هذا المعنى الاستعمالي الشائع تحديد المعنى بعبارة أدق، فيكون الآخر هو الآخر من مختلف فئات البشر، وربما اختزله البعض أكثر إلى الآخر أي غير المسلم.

ومن خلال ذلك نجد أن تعريف الآخر وحصره في نطاق موحد قد يصعب، وذلك لأن مشارب الناس متفاوتة في النظر إلى الآخر، فكل أمة تنظر إلى الآخر من زاوية ثقافتها وعاداتها، وعلى سبيل المثال فإن الفيلسوف أرسطو يعرف الآخر بأنه الآخر المستبعد هو الغريب الذي لم يتمكن من استخدام وفهم اللغة المشتركة (اليونانية) ونتيجة لذلك أصبح البربري هدفا للمطاردة.

فأرسطو حصر الآخر هو الذي لا تجمعك لغة مشتركة –أي اللغة اليونانية – لغة العلم في ذلك فكل من لا يتقنها فهو آخر ، وترتب عن ذلك انه يجوز ملاحقة هذا الآخر والسيطرة عليه واستغلاله.

في حين يرى الباحث (فيلهو هارلي) بأن الآخر إنما هو تعبير عام يغطِّي الحالات التي يعترف فيها بالاختلافات اللغوية والثقافية الأخرى والتي تشكل الأساس لهوية نحن.

وهناك من الباحثين من يربط الآخر بالعدو وهذا يعتبر من ناحية صحيحًا، ولكن ليس هو الأساس الذي يحكم به على الآخر والعلاقة معه، ولذا نجد الباحث عبد العزيز التويجري ينبه عن ذلك بالقول «والآخر في منظور الخطاب الإسلامي ليس هو العدو، كما تذهب إلى ذلك بعض الفلسفات المادية التي عرفها عصرنا، والتي بنَت عليها مدارس سياسية ومذاهب اجتماعية، تصوّراتها، وكان لها ـ ولا يزال ـ الأثر القوي في رسم السياسات على أكثر من صعيد في عالمنا اليوم. إن هذه النظرة إلى (الآخر)، أدخلت الإنسانية في مصائب جمّة، وهي التي أدّت إلى تكريس روح العنصرية والاستعلاء والرغبة في الهيمنة»

والباحث محمد الحسن الشنقيطي يرى الآخر من منظور إسلامي بقوله : أما الآخر فنعني به من لا يعتقد عقيدتنا ولا يؤمن بديننا وهذا التعريف يشمل أتباع الديانات السماوية السابقة يهودًا ومسيحيين كما يشمل من يدينون بديانات أخرى، ومن لا يدينون بشيء مع استحضار واستدراك المكانة الخاصة لأهل الكتاب لدى المسلمين والفروق بين الفريقين (المسلمين وغيرهم)؛ عديدة لكنها لا تصل إلى التضاد والتناقض المطلق، ولا تمنع التعايش ولذا لزم البحث عن أرضية مشتركة يمكن أن يقف عليها الفريقان ليعيشا في سلام وأمان ويعملا لتعمير الأرض وسعادة الإنسان.

وتختلف مضامين موقف الإسلام من الآخر(البشري) باختلاف وضع هذا الآخر بالنسبة إلى متغيرات عدة تشمل المتغير الديني والمتغير العلمي والمتغير الاقتصادي والمتغير البيولوجي، ولذلك فإن موقف الإسلام من المسلم هو غير موقفه من الذي يدين بدين آخر، أو ليس له دين ، وبالمثل لا يتطابق موقف الإسلام من العالم مع موقفه من الجاهل، كما لا يتطابق موقفه من الغنى مع موقفه من الفقير أو المعوز، كذلك يتباين موقف الإسلام من الشخص مع تباين وضعه البيولوجي سواء من حيث النوع (ذكر أو أنثى) أو قرابة الدم أو غير ذلك .

ولكن عند قراءة مفهوم الآخر قراءة معاصرة نجد أن الإعلام الغربي الذي يبرع في صناعة المصطلحات، قد أوجد هذا المصطلح وغيره ليتميز به عن الإسلام، وليجعل هناك فاصلا بينه وبين العالم الإسلامي، والمصطلح موجود في الثقافة الإسلامية، ولكنه لم يظهر كعامل حاكم بين المسلمين وغيرهم، وذلك لوجود مصطلحات أخرى.

والمفهوم العام للآخر في الفكر الإسلامي يطلق على كل من ليس بمسلم، فيدخل فيه البوذي، والوثني واليهودي والمسيحي وغيرهم من اللادينيين، أما الآخر في الفكر المعاصر فقد اختزل في الغرب الأوروبي ومعهم أمريكا، وشاعت مصطلحات الإسلام والغرب، أو الشرق والغرب ، نحن والآخر، وبهذا أصبح الخطاب الدعوي موجها في الأغلب إلى أوروبا، والبحث عن قواسم مشتركة بينهما.

فقد كان الكتاب الأوربيون والمستشرقون بصفة خاصة يتحدثون عن العالم الإسلامي، ويطلقون عليه مصطلح الشرق تمايزاً عن الغرب، ورغم أن الشرق يضم قارتي آسيا وأفريقيا ، فإنه تميُز باحتضانه العديد من الحضارات كالصينية والهندية والبوذية، إلا أن الغربيين كانوا يركزون مصطلح الشرق على المناطق الجنوبية لأوروبا والمجاورة له، وهي البلاد العربية والإسلامية، وأصبح الشرق هو العالم الإسلامي، ثم انتقل المصطلح ليأخذ لفظة الإسلام بدلا من الشرق، وبذلك أصبح الإسلام في مقابلة الغرب أو أوروبا.

وقد اهتمت الدراسات والمدارس العلمية الأنثروبولوجية بدراسة مجتمعات البحر الابيض وركزت على المسح الشامل للمجتمع الذي يشمل الايكولوجيا والزراعة وغيرها .

ثم دراسة التصنيف القرابي والعائلي ولاشك ان الدراسات قد اسهمت بدور كبير في تحليل عناصر الثقافات البحر المتوسط .

و اعتبر المستشرق البريطاني ادوارد وليام لين ان الدين في الشرق هو مصدر العادات والتقاليد متجاهلاً كافة النظم العائلية والطبقية الخاصة . فصورة العرب في ذهن الاوروبي قبل وجود دولة اسرائيل مقترنة بالابل والفتيات والصحراء ، اما بعد تواجد دولة اسرائيل فأخذ العربي يصور على انه رجعي و متعصب و ماكر و كاذب ... الخ

- **قولبة العرب في الصورة نمطية في ذهن الاوروبي :**

1- فكانت صورة العرب قبل وجود دولة إسرائيل مقترنه بالابل و الصحراء و قطعان الرعى ..اما بعد تواجد دولة اسرائيل فأخذ العربي يصور على انه رجعي و متعصب و ماكر و كاذب ... الخ

2 - وبعد حرب 1967 اضيف الى تلك الصورة النمطية الهارب و الجبان اما الزعماء فاسدين

3 - اما بعد حرب 1973 و حظر النفط اخذت صورة شيخ النفط الغني الذي سيطر على العالم

اسئلة المحاضرة

السؤال الاول:

((يؤكد علماء النفس والاجتماع أن الآخر تتغير خصائصه بتغير الظروف والواقع.))

اشرحى / اشرح العبارة السابقة بالتفصيل فى ضوء فهمك للمقصود بالآخر من منظور إسلامي